

التغيرات الطارئة على أصوات اللين في اللهجة الجزائرية

وامتدادتها في اللهجات العربية القديمة

بلغيتي فاطمة

جامعة سيدي بلعباس

تستعمل اللهجات الحديثة أصوات اللين استعمالاً متفاوتاً، من حيث وجودها في المقاطع المختلفة، فلم يبق سوى القليل منها على بنائه الفصيح، فإما أنها اختفت حيناً، أو تناوبت فيما بينها حيناً آخر، وربما أشبعت في حالات أخرى، وحلّ السكون محلّها حتى أصبح شائعاً في بنية الكلمة، بالإضافة إلى اختلاس الكسرة والضمة، في عدد كبير من الألفاظ. وإنّ التغيرات المختلفة التي أصابت نظام المصوتات العربية القديمة على ألسنة متكلمي اللهجات العربية الحديثة، قد طرأت على مستويين اثنين⁽¹⁾

الأول: التغيرات الطارئة على الأجراس؛ إذ أنّ التغيرات الجرسية المعروفة في العربية الفصيحة تطوّرت قليلاً، إلاّ أنه ليس لها في الأغلب أيّ قيمة وظيفية.

ثانياً: التغيرات الطارئة على مدّة الصوت الصائت؛ فلئن ثبتت الحركات الطويلة في العادة ثبوتاً يكاد يكون كاملاً، فإنّ كثيراً من الحركات القصيرة، إمّا أصبحت قصيرة للغاية (مختلّسة) وإمّا سقطت، فنتج عن ذلك أنّ اعتلّ تركيب المقاطع في كثير من الألفاظ. والدارس يكتشف ذلك، أنّ المصوتات تنزع إلى التغيّر وعدم الاستقرار، وهي كثيرة السقوط والتقلبات، وإذا كان هذا يحدث في الفصحى التي ضبّطت مقاييسها وأحصّنت بالكتابة، فكيف لا يحدث في اللهجات الحديثة التي لا تلتزم بمعايير كما تلتزم الفصحى، وأصبحت مستوياتها بأحرفات نتيجة اختلاط واحتكاك أهاليها بأجناس عديدة، جرّاء الغزوات وعلاقات التعامل مع الشعوب المختلفة.

حيث نجد المصوت الواحد ينتقل من نقطة إلى أخرى، ويحلّ محلّ الآخر في لفظة واحدة، كما ينقلب إلى صورة غير الصورة الأصلية، فيظهر طويلاً بعد أن كان قصيراً، وبسيطاً بعد أن كان مركّباً، والعكس كذلك دون أن يؤدي إلى تغيّر في المعنى.

هذا القلب ليس محصوراً بين مصوت وآخر من جنسه فقط بل يتنوّع، فهناك إبدال بين الكسر والضمّ، وبين الكسر والفتح، وبين الضمّ والفتح، وإبدال آخر يحدث بين المصوتات الثلاث، فتظهر اللفظة بصور ثلاث: صورة بالضمّ، وأخرى بالكسر، وصورة بالفتح، وهي باقية محافظة على معناها الأصلي.

اللهجة الجزائرية تعرّضت لهذا النوع من الإبدال في تراكيب وصيغ ألفاظها، ويبدو ذلك واضحاً من خلال مجموعة المفردات التي وقفت عليها، وهي موضحة حسب نظام المصوتات في العربية الفصحى، مقترنة بنماذج من اللهجات العربية القديمة، تشبه ما يحدث من إبدال في اللهجة الجزائرية، وكذلك نماذج من القراءات القرآنية - التي تعدّ المرأة الصادقة العاكسة للواقع اللغوي الذي كان سائداً في شبه الجزيرة العربية قبل لإسلام - (2) علنا نوطد الصلة بينهما، لأنّ هذه النماذج التي سنعرضها، ستكون بمثابة الجسر الرابط الذي يصل بين اللهجات العربية القديمة التي تمثّل في توحدها اللغة الفصحى، واللهجات العربية الحديثة التي تمثّلها لهجة الجزائر.

بداية يمكن ملاحظة أنّ المصوتات القصيرة في هذه اللهجة، تتردد أكثر من المصوتات الطويلة في السياق الصوتي، أي أنّ المقطع القصير أكثر استعمالاً من الطويل في هذه اللغة، وأنّ هذه المصوتات كثيرة التغيّر وتنزع إلى القلب والتطور السريع دون أن يؤدي ذلك إلى تغيّر في المعنى، ومن ضمن هذه التغيرات نذكر:

1. القلب بين الكسر والفتح؛ يكثر سماعنا للفتحة المنقلبة عن الكسرة بنسبة كبيرة، وفي حالات مختلفة نذكرها فيما يلي:

- في الأسماء التي تكون على وزن "فعل" نحو قولهم: (كَدْرَه) في قَدْر، (مَسَكْ) في مِسْك، (رَزَقْ) في رِزْق، (سَنْ) في سِن...
 - في الأسماء التي يأتي جمعها على صيغة "فعلان" نحو قولهم: (جَدْيَان) في جَدْيَان...
 - في بعض الأسماء التي يأتي جمعها على صيغة "فواعل"، كما في قولهم: (حَوَاجِبْ) في حَوَاجِب، (عَقَّارِبْ) في عَقَّارِب، (مَطَّارِحْ) في مَطَّارِح...
 - في بعض الأسماء "المضاعفة الآخر" مثل: (فَضَهْ) في فِضَّة، (كَطَّة) في قِطَّة، (صَحَّهْ) في صِحَّة، (حَنَهْ) في حِنَاء...
 - في "عين بعض أسماء الفاعل" نحو: (صَامَطْ) في صَامِط، (حَامَطْ) في حَامِط، (نَاشَفْ) في نَاشِف، (بَاطِلْ) في باطل...
 - في بعض الأسماء التي تأتي على صيغة "مفعل" نحو قولهم: (مَشْرَطْ) في مِشْرَط، (مَنْجَلْ) في مِنجَل، (مَنْبَرْ) في مَنْبَر...
 - في بعض الأسماء التي تأتي على صيغة "مفعال" مثل: (مَصْمَارْ) في مِصْمَار، (مَفْتَاَحْ) في مِفْتَاَح، (مَهْرَازْ) في مِهْرَاس...
 - في أول بعض الأسماء التي تأتي على صيغة "فعلتة" مثل: (كَّرْبَة) في القَرْبَة، (قَبْلَهْ) في القِبْلَة، (حَكْمَهْ) في الحِكْمَة...

إنّ مثل هذه الحالات من القلب نجد لها أصولاً في لهجاتنا العربية القديمة، فقد روي عن تميم أنها تقول: (الحجّ)، (الكثرة)، (نعجة)، (الرضاعة) بالكسر، وغيرهم يقول بالفتح.⁽³⁾ وأنها تقول: (الحصاد) بالفتح بينما (الحصاد) بالكسر لغة أهل الحجاز⁽⁴⁾، في حين نجدتها تقول: (تمام) بالكسر وأهل الحجاز يقولون: ذلك بالفتح (تمام).⁽⁵⁾ ومما ورد في القراءات القرآنية من أمثلة هذا القلب، أنّ حمزة (154 هـ) والكسائي (189 هـ) قرأ من قوله عزّ وجلّ: (يوم حصاده)⁽⁶⁾ وقوله تعالى: (والوتر)⁽⁷⁾ وقوله تعالى: (حجّ البيت)⁽⁸⁾ بالكسر⁽⁹⁾، وقرأ الباقون بالفتح⁽¹⁰⁾ (يوم حصاده)، (والوتر)، (حجّ البيت).

وأنّ عاصم قرأ في رواية من قوله عزّ وجلّ: (غُلظة)⁽¹¹⁾ بفتح الغين، وقرأ الباقون بكسرها (غُلظة).⁽¹²⁾ كما قرأ ابن كثير ونافع والكسائي من قوله عزّ وجلّ: (السلم)⁽¹³⁾ بفتح السين وقرأ الباقون بالكسر (السلم)⁽¹⁴⁾. وقرأ نافع وحده من قوله عزّ وجلّ: (عسيتم)⁽¹⁵⁾ بكسر العين، وقرأها الباقون بالفتح (عسيتم).⁽¹⁶⁾ حين نتساءل عن أي الصوتين أيسر في النطق، أو أيهما الذي يحتاج إلى جهد عضلي أكثر؟ نجد أنّ الكسرة صوت أمامي ضيق تتكوّن بتحرّك أدنى اللسان⁽¹⁷⁾ في حين أنّه لا عمل للسان في أثناء أداء صوت الفتحة⁽¹⁸⁾؛ أي أنّ اللسان يكون مستويّاً في أسفل الفم أثناء أداء صوت الفتحة، هذا يعني أنّ الفتحة أخفّ من الكسرة هذا من جهة، ومن جهة أخرى هما صوتان متقاربان جداً، فلا نستغرب أن يجنح الجزائريون نحو الفتح الذي لا يتطلب مجهوداً عضلياً أثناء النطق به. ويمكن تفسير قلب الكسرة إلى الفتحة عموماً في تلك المجموعة من المفردات التي جمعناها، على أنّه طلب أو سعي لتحقيق الانسجام، وابتغاء شيء من المماثلة الصوتية بين الكسرة والفتحة التي تليها، وهذا ما نلاحظه في قولهم: (فضّه، كطه، صجّه...) فانقلبت الكسرة حتّى تنسجم مع حركة الفتح بعدها.

أمّا في قولهم (صامط، لباطل، ناشف...) فالظاهر أنّ الكسرة انقلبت لتنسجم مع حركة الفتحة قبلها؛ أي حدث هناك نوع من التآثر الرجعي، بحيث أثر المصوّت الثاني في المصوّت الأوّل، وفي المجموعة الثانية حدث العكس فهناك تآثر تقدّمي، أين أثر المصوّت الأوّل في المصوّت الثاني.

كذلك وجدنا أنّ كسرة الميم انقلبت إلى فتحة في صيغتي اسم الآلة "مفعل ومفعّل"، اللتين أصبحنا في اللهجة الجزائرية (مفعل ومفعّل)، ذلك لأنّ حركة الميم تأثرت بحركة العين، فهو نوع من التآثر الرجعي، تأثر المصوّت الثاني بالمصوّت الأوّل كما علّل ذلك أحد الدارسين، وذكر أنّ هذا الإبدال كان مطّرداً تمام الاطراد منذ القرن الرابع الهجري في لهجة الأندلس، فقد روى عن ابن هشام اللخمي (ت577 هـ) أنّ الأندلسيين كانوا يقولون: "مصيّدة، ومطرقة، ومفرقة، ومنجل، ومروحة ومعلّقة".⁽¹⁹⁾

والملاحظ كذلك أنّ المواضع التي انقلبت فيها الكسرة فتحة خالصة، تنوعت فيها الفتحة بين التنخيم والترقيق، فهي مفخّمة مع صوت القاف الذي ينطق في لغة بني هلال "كيميا سامية"، نحو قولهم: (كدره، كطه) في "قدر، وقطة"

وكذلك مع صوت الضاد والطاء في قولهم: (فَضَّةٌ ، بَاطِلٌ)، وجاءت مرفقة في قولهم: (حَوَاجِبًا ، صَحَّةٌ ، نَاشِفًا...) إنَّ السَّرَّ في هذا التباين يكمن في الصوامت التي افتترنت بنوع المصوَّت، فالتفخيم لا يقتصر فقط على الصوامت بل يتعداها أيضاً إلى الصوائت، لكنَّها لا توصف بترقيق ولا تفخيم، بل بحسب ما تُقترن به فإنَّها تتبَّعه ترفيقاً وتفخيماً، وابن الجزري (ت 833هـ) يؤكِّد ذلك في قوله: «أما الفتحة، فإنَّها تنطق مفخمة بعد أصوات الاستعلاء، وصوتي الرء واللام المفخمين، فالصائت بفرعيه لا يقوم بنفسه بل هو تابع للصامت الذي يصاحبه، ومنه يكتسب الترفيق أو التفخيم، والأمر لا يقتصر على الفتحة فحسب، فكما أنَّ الفتحة تنطق مفخمة مع الأصوات المستعلية، فكذلك الكسرة والضمة»⁽²⁰⁾ ولأنَّ الرء صوت يعتريه التفخيم فهو تارة مفخَّم، وتارة أخرى مرفَّق، فقد جاء في اللهجة الجزائرية كذلك بحسب السياق الصوتي الذي يقع فيه، فجاء مفخماً في قولهم: (فَرَحٌ) المنقلبة عن "فَرِحَ" فقد توسطت حركتين مفتوحتين، في حين جاء مرفقاً في قولهم: (رَزَقٌ) عن "رَزَقَ"، لأنَّه تلاه سكون فقلل من صفته التفخيمية. والرأي نفسه ذهب إليه المحدثون من أنَّ تفخيم المصوَّات وترقيقها مرهون بالصوامت التي تتبَّعها، تفخَّم مع الصامت المفخَّم، وترفَّق مع الصوت المرفَّق، يقول أحد الدارسين: «الفتحة مثلاً قد تكون مفخمة مع أصوات الإطباق، وهي الصاد والضاد والطاء والظاء، وهي في الحالة الوسطى بين التفخيم والترقيق مع القاف والغين والخاء، ولكنَّها مرفقة في المواقع الصوتية الأخرى»⁽²¹⁾، والقول نفسه ينطبق على الحركات الأخرى الضمة والكسرة كما يسري عليها هذا في حالة الطول، أي الألف والياء والواو، باعتبار أنَّ الألف فتحة طويلة والواو ضمة طويلة والياء كسرة طويلة.⁽²²⁾

2. القلب بين الكسر والضم: ونجده مثلاً في لفظة (عُرْبَالٌ) التي ترد في الجزائرية بالضم، مع أنَّها مكسورة في الفصحى "غربال"⁽²³⁾ على صيغة مفعال، ومثل هذا القلب ورد في لهجات العرب القديمة، من ذلك أنَّ تميم تقول: (القُتَاءُ*)، (أُسُوءَ)، (قُدُوءَ)، (صُنُوانٌ*)، (رُضُوانٌ) بالضم⁽²⁴⁾، وأهل الحجاز يقولون بالكسر: (القُتَاءُ)، (إِسُوءَ)، (قُدُوءَ)، (صُنُوانٌ)، (رُضُوانٌ).⁽²⁵⁾ وهي تقول: (قَبْلٌ) و(وَدٌّ) بالضم، في حين بعض بني قيس يكسرونهما فيقولون: (قَبْلٌ) و(وَدٌّ).⁽²⁶⁾

كما وجد هذا الإبدال في القراءات القرآنية كذلك وفي مفردات بعينها، فقد قرأ عاصم من قوله عز وجل: (ورُضُوانٌ).⁽²⁷⁾ وقوله تعالى: (أُسُوءَ حَسَنَةً)⁽²⁸⁾ بالضم، وقرأ الباقون (ورُضُوانٌ) و(إِسُوءَ حَسَنَةً) بالكسر.⁽²⁹⁾ وأنه قرأ من قوله تعالى: (خَفِيَّةً)⁽³⁰⁾ بكسر الخاء، وقرأ الباقون (خُفِيَّةً) بالضم.⁽³¹⁾ وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم من قوله تعالى: (من حُلِيَّهِمْ)⁽³²⁾ بضم الحاء، وقرأ حمزة والكسائي (من حُلِيَّهِمْ) بالكسر.⁽³³⁾ إلى غير ذلك من الأمثلة العديدة. وتفسير ذلك يعود إلى القرابة الشديدة بين هذين المصوَّتين (الضمة والكسرة) الأمر الذي يجعل تطوُّر أحدهما إلى الآخر تجيِّزه الدراسات الصوتية، فكلاهما من الأصوات الضيقة التي يبلغ اللسان معها أقصى ما يمكن أن يصل إليه من صعود نحو الحنك، والفراغ بينهما أضيِّق ما يمكن أن يصل إليه للنطق بمصوَّت، والفرق بينهما لا يعدو أن

يكون في حركة اللسان، فمع الكسرة يتصعد اللسان نحو الأعلى، أما مع حركة الضمة فتصعد مؤخرة اللسان نحو
الطبق.⁽³⁴⁾

هذا الأمر وقف عنده القدامى من أمثال ابن جني الذي توصل إلى أنه "بين الضمة والكسرة من القرب والتناسب، ما
ليس بينهما وبين الفتحة."⁽³⁵⁾ لعل هذا ما جعل الأستاذ براجستراسر يذهب إلى القول بأن اللغات السامية كانت تنظر في
حقيقة ما إلى الضمة والكسرة على أنهما يمثلان صوتاً واحداً،⁽³⁶⁾ وخاصة بعد أن وجد تناوب قوي بين هذين الصوتين
في اللغات السامية عموماً، ومن تلك القربى (التشريحية) بين الصوتين.⁽³⁷⁾ والقول نفسه ينطبق عليهما في حالة
الطول أي الياء والواو، كون الواو ضمة طويلة والياء كسرة طويلة، مثلما يحدث في لفظة (عريس) التي تنطقها
الجزائريون، مع أنها مضمومة "عروس"⁽³⁸⁾ في الفصحى. أو ربما يرجع هذا القلب في هذه اللفظة للتمييز بين الرجل
والمرأة، لأن هذا القلب لا يحدث في لغة الجزائريين، إلا إذا قصدوا الرجل.

3. القلب بين الفتح والضم؛ نجد هذا القلب مثلاً في قولهم:

(ظلمه) في ظلمة وظلمة.

(قَرْنُفَل) في قَرْنُفَل وقَرْنُفُول.⁽³⁹⁾

(سَم) في سَمَّ وسُمَّ وسَمَّ⁽⁴⁰⁾ الألفاظ الثلاثة كلها أصلية، لكن الجزائريين يفضلون نطق اللفظة الأول.

(فَم) في فَمٌ وفُمَّ⁽⁴¹⁾ الكلمتان أصلان، لكن الجزائريين يؤثران اللفظة الثانية.

ففي (ظلمه) التي هي في الفصحى مضمومة "ظلمة"، قلبت الضمة فتحة لتتنسجم مع حركة الفتحة بعدها، خاصة
وأن المصوت الذي مسه القلب هو الموالي للضاد، وما يتميز به إطباق وتفخيم الذي يناسبها فتأتي معها مفخمة. أما عن
قلب الضمة فتحة في كلمة "قَرْنُفَل" التي أصبحت في اللهجة الجزائرية (قَرُونُفَل)، فقد علل أحد الدارسين هذا القلب في
هذه اللفظة، أنه يمكن أن يكون الأصل (قَرْنُفَل) ثم تطورت حركتا القاف والراء (أي الفتحيتين) إلى ضميتين لتجانسا
حركة الفاء، فأصبح اللفظ (قَرُونُفَل)، وفي لغة الجزائريين أسقطت الضمة الأولى لأن اللهجة تبدأ بساكن.
أما في اختيارهم للفتحة دون الضمة، في قولهم: (فَم) في فَم، فعمل تفسير ذلك يعود إلى كون الفتحة هي أول الحركات
ويسهل نطقها في اللهجة.

ومن أمثلة هذا الإبدال في لهجات العرب القديمة، أن نطق (عُشوة)*، (عُدوة)*، (زُعم)*، (قُرح)* بالضم

هو لغة تميم وأهل الحجاز يفتحون⁽⁴²⁾ فيقولون: (عَشْوَة)، (عَدْوَة)، (زَعَم)، (قَرَح). وأنَّ (السُّم) و(الشُّهْد) بالضمّ لغة أهل العالية وبالفتح لغة تميم.⁽⁴³⁾

ومثل هذه الأمثلة نجدها في القرآن الكريم جنباً إلى جنب مع الصيغ في اللغة العربية القديمة، ذلك أن القرآن حوى العديد من نطق اللهجات العربية القديمة لمفردات بعينها، واختلف القراء في نطقها كل حسب تَعَوُّده ولغته التي جُبِل عليها.

- فقد قرأ ابن كثير (ت120هـ) ونافع (ت169هـ) وأبو عمرو بن العلاء (ت154هـ) من قوله تعالى:

(قَرَح) ⁽⁴⁴⁾ بفتح القاف، وقرأ حمزة (ت156هـ) والكسائي (189هـ) بضمّها (قُرَح). ⁽⁴⁵⁾

- قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو (كُرْهًا) ⁽⁴⁶⁾ بفتح الكاف، وقرأ حمزة والكسائي بضمّها (كُرْهًا). ⁽⁴⁷⁾

- قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو من قوله تعالى: (الرُّهْب) ⁽⁴⁸⁾ بفتح الراء، وقرأ حمزة والكسائي وعاصم وابن

عامر بالضمّ (الرُّهْب). ⁽⁴⁹⁾

- قرأ عاصم وحمزة من قوله تعالى: (الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْف) ⁽⁵⁰⁾ بفتح الضاد، وقرأ الباقر بالضمّ

(ضُعْف). ⁽⁵¹⁾

- قرأ حمزة والكسائي وعاصم من قوله تعالى: (سَدًّا) ⁽⁵²⁾ بفتح السين، وقرأ الباقر بالضمّ (سَدًّا). ⁽⁵³⁾

- قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو من قوله تعالى: (عُرْفَة) ⁽⁵⁴⁾ بفتح الغين، وقرأ الباقر بالضمّ (عُرْفَة). ⁽⁵⁵⁾

4. القلب في عين الأفعال: تعدى إبدال المصوتات في اللهجة الجزائرية حدود الأسماء ليشمل أبنية

الأفعال، فقد مسّ العنصر الثاني من الأصل في بنية الفعل وهو الصوت الأساسي في جذر الفعل، الذي يطلق عليه في

العربية مصطلح عين الكلمة، ونجد هذا القلب في الحالات الآتية:

1- قلب الكسرة فتحة:

• في الأفعال الماضية التي تأتي على صيغة "فَعِلَ" مثل قولهم:

(فَرَحَ) في فَرَح - (لَصِقَ) في لَصِقَ - (لَعِقَ) في لَعِقَ (العسل بإصبعه) - (لَعِبَ) في لَعِبَ - (هَرَبَ) في هَرَبَ -

(سَمِعَ) في سَمِعَ - (خَسِرَ) في خَسِرَ - (لَبَسَ) في لَبَسَ - (حَزَنَ) في حَزَنَ...

• في بعض الأفعال المضارعة التي تأتي على صيغة "يَفْعَلُ"، مثل قولهم:

(يَعْرِفُ) في يَعْرِفُ - (يَقْسِمُ) في يَقْسِمُ - (يَحْصِدُ) في يَحْصِدُ - (يَحْفَرُ) في يَحْفَرُ - (يَعْزَمُ) في يَعْزَمُ ...

• في بعض الأفعال المضارعة التي تأتي على صيغة "يَنْفَعِلُ"، مثل قولهم:

(تَنْقَطِعُ) في تَنْقَطِعُ - (تَنْطَبِعُ) في تَنْطَبِعُ ...

• في بعض الأفعال المضارعة التي تأتي على صيغة "يُفَعِّلُ"، مثل قولهم:

(يَصْعَبُ) في يَصْعَبُ - (يَدْرِكُ) في يَدْرِكُ (يُخْفِي) ...

• في بعض أفعال الأمر التي تأتي على صيغة "فَعْلُ" مع ضمير المخاطب "أنتَ":

(عَلَّقْ) في عَلِّقْ - (سَطِّرْ) في سَطِّرْ - (رَفَّعْ) في رَفَّعْ ...

• في بعض أفعال الأمر التي تأتي على صيغة "أَفْعِلْ" مع ضمير المخاطب "أنتَ":

(وَجِدْ) في أَوْجِدْ - (وَصَلْ) في أَوْصِلْ - (وَخَرْ) في أَخْرْ - (وَجِدْ) في أَوْجِدْ ...

2- قلب الضمة فتحة: ونجده في الحالات الآتية:

• في الفعل الثلاثي الذي يأتي على وزن فَعْلَ، مثل قولهم:

(صَغُرَ) في صَغُرْ - (ضَعْفَ) في ضَعْفَ - (كَبُرَ) في كَبُرْ - (كَثُرَ) في كَثُرْ ...

• في مضارع الفعل الثلاثي "المضعف الآخر"، مثل:

(يَعْسُ) في يَعْسُ - (يَعِدُّ) في يَعِدُّ - (يَمُدُّ) في يَمُدُّ - (يَحْدُّ) في يَحْدُّ ...

مثل هذه الحالات من القلب في حركة عين الفعل، نجد لها أصولاً في لهجاتنا العربية القديمة سواء كان الفعل ماضياً

أو مضارعاً، حيث ثبت أن:

- تميم تقول بَطَشْ يَبْطِشُ، وأهل الحجاز يكسرون عين المضارع منه فيقولون يَبْطِشُ.⁽⁵⁶⁾ وأن ركنَ يَرَكُنْ لغة قريش وأهل الحجاز، وركنَ يَرَكُنْ لغة تميم.⁽⁵⁷⁾

- تميم تقول: جَنَحَ يَجْنَحُ بالفتح، وجَنَحَ يَجْنَحُ بالضم لغة قريش.⁽⁵⁸⁾

- تميم تكسر عين الماضي فتقول: ظَلَلْتَ أَظِلُّ، وأهل الحجاز يقولون: أَظَلَّ بِالْفَتْحِ.⁽⁵⁹⁾

- أهل الحجاز يقولون: بَرَأْتُ مِنَ الْمَرَضِ، وتمدِّم تقول: بَرَأْتُ مِنَ الْمَرَضِ.⁽⁶⁰⁾

- أهل الحجاز يقولون: فَرَّغَ يَفْرَغُ، وتمدِّم تقول: فَرَّغَ يَفْرَغُ.⁽⁶¹⁾

- نَكَلَ يَنْكَلُ بالكسر لغة تميم، ونَكَلَ يَنْكَلُ بالفتح لغة أهل الحجاز.⁽⁶²⁾

- رَضَعَ يَرْضَعُ لغة قيس وتمدِّم وعامة أهل نجد، ورضعَ يَرْضَعُ لغة أهل الحجاز.⁽⁶³⁾

وهناك أمثلة أخرى نستشفها في القراءات القرآنية، توضح أن حركة العين غير مستقرّة في أفعال العربية، ذلك أن القرآن حوى العديد من نطق اللهجات العربية القديمة لمفردات بعينها، واختلف القراء في نطقها كل حسب تعوّد ولغته التي جُبل عليها، فقد ورد أن:

- ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي قرؤوا من قوله عزّ وجل: (يحبّسهم) (64) وقوله تعالى: (تحسبن) (65) بكسر السين في كل القرآن، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة وأبو جعفر بفتح السين (يحبّسهم). و(تحسبن) في كل القرآن (66).
- قرأ عاصم ونافع من قوله سبحانه: (وقرن) (67) بفتح القاف، وقرأ الباقر بالكسر (وقرن) ومن القراءات الشاذة (68)، ما رواه أبو عمرو: أن قتادة وطلحة والأشهب قرؤا من قوله تعالى: (ولا تركنوا) (69) بضم الكاف، وقرأ غيرهم بالفتح (ولا تركنوا) (70).
- قرأ الكسائي وحده من قوله عزّ وجل: (يعزب) (71) بكسر الزاي، وقرأ الباقر بضمها (يعزب) (72).
- قرأ الكسائي وحده أيضاً في قوله تعالى: (لم يطمئنن) (73) بضم الميم، وقرأ الباقر بكسرها (لم يطمئنن) (74).
- قرأ حمزة والكسائي في قوله سبحانه: (يعكفون) (75) بكسر الكاف، وقرأ الباقر بضمها (يعكفون) (76).
- قرأ نافع وابن عامر وعاصم في قوله تعالى: (انشزوا) (77) بضم الشين، وقرأ الباقر بالكسر (انشزوا) (78).
- قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر في قوله تعالى: (فاعتلوه) (79) بضم التاء، وقرأ الباقر بالكسر (فاعتلوه) (80).
- ومن القراءات الشاذة أن الأعمش قرأ في قوله تعالى: (يعرجون) (81) بكسر الراء وقرأ الباقر (يعرجون) بالضم (82).

فالملاحظ ممّا سبق، أن حركة العين سواء في اللهجات الحديثة أو القديمة أو حتى عند المشاهير من القراء، غالباً ما نجدها غير ثابتة على أصلها، فهي كثيرة التغيّر والتقلّب، وأكثر ما وجدناها منقلبة عن الكسرة والضمة اللتين تطوّرتا إلى فتحة. ويمكن تفسير تطوّر حركة العين من الكسر إلى الفتح في تلك الطائفة من الأفعال في لغة الجزائريين، نحو (فَرَح، لُصِق، سَمِع، لَعَب) في: (فَرَح، التصق، سمع، لعب) أنه ناتج عن تأثر حركة العين بالفتحة قبلها وبعدها، فانقلبت كسرة لتنسجم معها.

أمّا عن قلبهم الكسرة فتحةً في الأفعال المضارعة، نحو: (يَعْرِفُ، يَحْصَدُ، ...) في "يعرف، يحصد"، فحركة العين تأثرت بالفتحة قبلها فانقلبت لتنسجم معها، أي حدث نوع من التأثير التقديمي، تأثر المصوت الثاني بما قبله وهي حركة الياء المضارعة التي تجيء مفتوحة في الأفعال المعلومة.

وعن قلب حركة العين في تلك الأفعال المضارعة التي جاءت على صيغة "يُفَعِّلُ" نحو: (يُصَعِّبُ، يَدْرِكُ)

في "يُصَعِّبُ، يُدْرِكُ" فإن حركة الكسر تأثرت بحركة الفتح قبلها، والأمر نفسه حدث مع أفعال الأمر نحو: (وَجَدُ، وَصَلُ، وَخَرُ) في "أَوْجَدُ، أَوْصَلُ، أَخَرُ" وعملية القلب تمت على مرحلتين:

ففي الأولى: أسقطت همزة الأمر، وانتقلت إلى الصوت الذي يليها.

وفي الثانية: تأثرت حركة الكسرة بما قبلها (الفتحة).

أَوْجِدُ ← وَجِدُ ← وَجَدُ.

وما قيل عن قلب الكسرة إلى فتحة، يقال عن قلب الضمة إلى فتحة، فهو ناتج عن تأثر تقديمي، حيث تأثرت ضمة العين بالفتحة قبلها فقلبت فتحة، هذا في الأفعال الثلاثية التي جاءت على وزن (فَعَلَ) نحو: (صَغَرَ، كَثُرَ) وتطوّرت في اللهجات الحديثة إلى (صَغَرُ وكَثُرَ). أمّا في الأفعال المضارعة المضاعفة الآخر نحو: 'يَعْسُ، يَمُدُّ، يَجِدُ...' التي أصبحت (يَعْسُ، يَمُدُّ، يَجِدُ) فهو ناتج عن تأثر حركة الضمّ بما قبلها من فتحة المصاحبة لياء المضارعة، وكان قد مرّ بنا نماذج وضّحت لنا أنّ اللهجات العربية القديمة كذلك اختلفت في حركة عين الفعل، ماضياً كان أو مضارعاً في مجموعة من الأفعال، ووجدنا هذه الظاهرة حتّى في بعض القراءات.

ولعلّ هناك من يسأل لماذا هذه العناية الشديدة بتغيّرات مصوّت عين الكلمة دون سواه؟ إنّ السبب يكمن في أنّ المصوّت الذي يكون في هذا الموضع إنّما هو المصوّت الرئيس في الكلمة، وهو ما بدا واضحاً في أبنية الأفعال، ولعلّ هذه الأهمية متأتية من قوّة العنصر الثاني من الأصل على الثبّات؛ بسبب من ابتعاده عن اللواحق والسوابق والتأثيرات الإعرابية.⁽⁸³⁾ وهو رأي القدامى كذلك كما يبدو في قول ابن جني: 'العين أقوى من الفاء واللام، وذلك لأنّها واسطة لهما ومكونة بهما، فصارا كأنّهما سجاج لها ومبدولان للعوارض دونها.'⁽⁸⁴⁾

كما يجب التنبيه إلى ظاهرة لها جذور في القدم، استوقفنتني وأنا أستقصي صور الإبدال في تلك الطائفة من الأفعال المضارعة في اللهجة الجزائرية، ألا وهي كسر حرف المضارعة في نحو: (يَعْرِفُ، يَفْسَمُ...) في 'يَعْرِفُ، يَفْسَمُ...' والمعروف أنّ صوت المضارعة يحرك بالفتحة، إلّا إذا كان الماضي فعلاً رباعياً فإنّه يضمّ. مثل هذه الظاهرة (كسر حرف المضارعة) عرفتتها بعض اللهجات العربية القديمة على ألسنة بعض القبائل وسمّيت بـ'التلتلة'، وقد ذكرها القدامى في مصنّفاتهم ونسبوها إلى بهراء، يقول ابن جني: 'وأما تلتلة بهراء، فإنّها تقول: تَعْلَمُونَ وتَفْعَلُونَ وتَصْنَعُونَ بكسر أوائل الحروف.'⁽⁸⁵⁾ ويذكر أبو حيان أنّها لغة فاشية في العرب كقيس وتميم وأسد وربيعة⁽⁸⁶⁾، وفي موضع آخر يضيف أنّ بعض بني كلب يكسرون أيضاً في الياء يقولون: هل يعلم؟⁽⁸⁷⁾ فانتشار الكسر كان في قبائل كثيرة على ما يبدو، والظاهر أنّه اشتهر عند أرياب الفصاحة من القبائل المشار إليها، 'بهراء من قضاة كانوا يقطنون ناحية الشام قريباً من العراق، وربيعة مسكنها الحيرة، وأسد كانت تسكن قبل الكوفة بخمس مراحل، وتميم من قبائل شرقي الجزيرة بالقرب من العراق، وهذيل من سكان الحجاز.'⁽⁸⁸⁾ فهذه القبائل بدوية على العموم، ممّا يدل على أنّ البداوة سمة الناطقين باللهجة الجزائرية، وضاربة فيهم.

كما تناول أحد المحدثين هذه الظاهرة وعلل حدوثها وشيوعها في (التاء والنون والياء)، على أن "هذه الأصوات الثلاثة من أصوات مقدّم الفم، والكسر مصوّت أمامي يسهل البدء به مع الأصوات المتقدمة." (89) ويضيف مشيراً إلى أن "ظاهرة كسر حرف المضارعة سامية قديمة، أما الفتح في أحرف المضارعة جاء في العربية القديمة دون سواها من اللغات السامية الأخرى، وأن استمرار الكسر في حروف المضارعة حتى الآن في اللهجات العربية الحديثة كلها، يؤكد أصالة الكسر" (90) ووجودها في لغة الجزائريين يؤكد أن هذه اللهجة التي تعدّ نموذجاً حياً لبعض اللهجات العربية الحديثة، هي امتداد للهجات العربية القديمة.

5. القلب بين المصوّتات القصيرة والطويلة؛ مالت اللهجة الجزائرية في حالات قليلة إلى تقصير المصوّت الطويل، وفي حالات أخرى إلى مدّه إذا كان قصيراً، ومن صور هذا القلب نذكر:

أ) قلب المصوّت القصير مصوّتاً طويلاً (إشباع المصوّت القصير): إن المصوّتات القصيرة: الضمّة،

الكسرة والفتحة، تتحوّل عن درجة القصر إلى درجة الطول، فتقلب واوا، ياء وألفاً؛ أي أن الحركة تُقلب إلى صوت من جنسها دون أن يتغيّر معنى اللفظة، وأطلق اللغويون القدامى على هذا القلب أو التحوّل مصطلح "مطل الحركات" (91) أو مدّ الحركة، أما المحدثون فيسمّون هذه العملية، بـ"الإشباع". ومن صور هذا القلب في اللهجة الجزائرية، مايلي:

• قلب الضمّة، ضمّة طويلة:

في بعض الأسماء: نحو: (كَنْفُود) في قَنْفُود، (قَرُونْفَل) في قَرْنُفَل، (فُوقَه) في فُقْهَاء (أَسْقَطُوا الهمزة المتطرفة)...

في الفعل الثلاثي المتصرّف في الأمر: نحو قولهم: (كُول) في قُل، (كُول) في كُل، (صُوم) في صُم...
في أول الضمائر المنفصلة التالية: (هُو) في هُو، (هُومَا) في هُمَا، (أَنْتُومَا) في أَنْتُمَا، أَنْتُنْ.

• قلب الفتحة، فتحة طويلة:

في أول بعض الأسماء، نحو قولهم: (لُعَاهَد) في العَهْد، (لُعَاصِر)، في العَصِر، (لَا جَل) في الأَجَل،...
في وسط بعض الأسماء، مثل: (عُمَار) في عُمَر، ...

في أواخر الأفعال الماضية المقترنة بكاف الخطاب، وهاء الغائب المسندة إلى تاء التانيث، كما في قولهم:

أنت (خَدَعَاتِكْ) – هو (خَدَعَاتَه) في: أنت خدعتك – هو خدعته

أنت (ضَرَبَاتِكْ) – هو (ضَرَبَاتَه) في: أنت ضربتك – هو ضربته.

في الأفعال المعتلّة الآخر والمتصرّفة في الماضي مع ضمير الجمع للغائب "هم"، كما في قولهم:

(نَسَاؤُ) في هم نَسَاؤًا ، (بَقَاؤُ) في هم بَقَاؤًا ، (مَشَاؤُ) في هم مَشَاؤًا....

• قلب الكسرة، كسرة طويلة :

يظهر هذا القلب في قولهم :

(جِيهَ) في جِهَة - (خَشِينُ) في خَشِنَ - (صِيْفَه) في صِفَة...

في الفعل الثلاثي الأجوف المتصرف في الأمر، نحو قولهم :

(زَيْدُ) في أَنْتَ زَيْدُ.

(زَيْدِي) في أَنْتَ زَيْدِي.

(زَيْدُوا) في أَنْتُمْ زَيْدَا ، أَنْتُمْ زَيْدُوا ، أَنْتُمْ زَيْدُونَ.

(بَيْعُ) في أَنْتَ بَيْعُ.

(بَيْعِي) في أَنْتَ بَيْعِي.

(بَيْعُوا) في أَنْتُمْ بَيْعَا ، أَنْتُمْ بَيْعُوا ، أَنْتُمْ بَيْعُونَ.

• قلب الفتحة كسرة طويلة : نجد هذا القلب في لام الجرّ عند اتصالها بضميري الغائب والمخاطب : (لِيهِ)

في لَهُ ، (لِيَهُم) في لَهُم ، (لِيَهَا) في لَهَا ، (لِيَكُ) في لَكَ ، (لِيَكُم) في لَكُمْ.

ومما نقلته المصادر من قبيل أمثلة قلب المصوّت القصير مصوّت طويل، ما أورده ابن جنّي في خصائصه وهو موضوع على

النحو الآتي :

- قلب الفتحة ألفاً : يظهر هذا القلب فيما أنشده أبو علي لابن هرمة يرثي ابنه :⁽⁹²⁾

فَأَنْتَ مِنَ الْغَوَائِلِ حِينَ تُرْمَى وَمَنْ ذَمَّ الرِّجَالَ بِمَنْتَزَاحٍ.⁽⁹³⁾

أراد : بمنتزح⁽⁹⁴⁾ (مفتعل من النازح).

وما أنشده أيضاً لعنترة :⁽⁹⁵⁾

زِيَاةٌ مِثْلَ الْفَتِيحِ الْمَقْرَمِ يَنْبَاعُ مِنْ ذَفْرِي غَضُوبٍ جَسْرَةٍ.⁽⁹⁶⁾

أراد : ينبع ، (أشبع الفتحة ، فأنشأ عنها ألفاً).

ومن ذلك أيضاً : قول الهذلي.⁽⁹⁷⁾

بَيْنَا تَعَنَّهَ الْكُمَاةَ وَرَوْغَهُ يَوْمَا أُتِيحَ لَهُ جَرِيٌّ سُلْفَعٌ.⁽⁹⁸⁾

أي : بين أوقات تعنّقه (أشبع الفتحة ، فأنشأ عنها ألفاً).

- قلب الكسرة، كسرة طويلة: من أمثلة هذا القلب ما ورد في قولهم "من الصياريف"، والمطافيل*،
والجلاعيد*،⁽⁹⁹⁾

كقول الشاعر⁽¹⁰⁰⁾

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة نفر الدراهم تنقاد الصياريف
وقول أبو النجم:⁽¹⁰¹⁾

حتى تراعت في النعاج الخذل منها المطافيل وغير المطفل.⁽¹⁰²⁾
وقول الهذلي:⁽¹⁰³⁾

وإن حديثاً منك لو تبدلنيته جنى النحل في ألبان عوذ* مطافيل.⁽¹⁰⁴⁾
- قلب الضمة ضمة طويلة: من نماذج هذا القلب ما أنشده شاعر منهم:⁽¹⁰⁵⁾

وإنني حيث ما يسري* الهوى بصري من حيث ما سلكوا أدنو فأنظور
وقول آخر:⁽¹⁰⁶⁾

مكورة* جم العظام عطبول* كأن في أنيابها القرنفول⁽¹⁰⁷⁾
يراد في البيت الأول: فأنظر. وفي البيت الثاني: القرنفل.

والملاحظ من خلال هذه الأمثلة، أن قلب المصوت القصير إلى صورة أطول قد كثر استعماله في الشعر، لأن الضرورة الشعرية تتطلب هذا المد حتى يستقيم الوزن.

ويظهر إشباع القصير كذلك في القرآن، فقد أشبعت الفتحة وأصبحت ألفاً في مواضع عديدة، نحو قوله
عز وجل: (لَا تَيَسَّوْا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ).⁽¹⁰⁸⁾

وقوله تعالى: (أَفَلَمْ يَأْتِيَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا).⁽¹⁰⁹⁾ وقوله: (لَا أَعْدِبْنَهُ عَذَابًا شَدِيدًا
أَوْ لَأُذَبِّحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ).⁽¹¹⁰⁾

وأشبعت الضمة أيضاً، كما في قوله تعالى: (سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ)⁽¹¹¹⁾ وقوله تعالى: (سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا
تَسْتَعْجِلُون).⁽¹¹²⁾ كذلك نجد الكسرة أشبعت في الكثير من المواطن، منها قوله تعالى: (مَنْ نَبِيٍّ الْمُرْسَلِينَ)⁽¹¹³⁾ وقوله
تعالى: (مَنْ تَلْقَانِي نَفْسِي).⁽¹¹⁴⁾ وقوله عز وجل: (وَإِيتَانِي ذِي الْقُرْبَى).⁽¹¹⁵⁾

وهذا الإشباع الوارد في القرآن الكريم، إنما هو لحكمة أرادها الله عز وجل، ليقع التدبر والتذكير في معنى
الكلمة التي مدّت حركتها، وقد فصل العلماء الأجلء في ذلك كثيراً. فالزركشي أوضح في برهانه أن الألف زيدت مثلاً في
الآيات المذكورة أعلاه، لتكون بمعنى زائد بالنسبة إلى ما قبله في الوجود مثل (لا أذبحنه) زيدت الألف تنبيهاً على أن

المؤخر أشدّ في الوجود من المقدم عليه لفظاً، فالذبح أشدّ من العذاب. وكذلك في (أفلم يابنس) لأنّ الصبر وانتظار الفرج أخفّ من الإياس، والإياس لا يكون في الوجود إلا بعد الصبر والانتظار. وأنّ الواو زيدت في تلك المواضع للدلالة على ظهور معنى الكلمة في الوجود، في أعظم رتبة في العيان، أمّا الياء فزيدت لاختصاص ملكوتي باطن.⁽¹¹⁶⁾

(ب) إبدال المصوّت الطويل مصوّتاً قصيراً (تقصير المصوّتات): ويظهر في قولهم:

(رَكَّبَ) في رَأَقَبَ.

(هَجَّ) في هَاجَ، لمن ثار لشقة أو ضرر.

إن مثل هذا النوع من القلب وجدناه في اللهجات العربية القديمة، فقد استعملت بعض اللهجات تقصير المصوّت في سياقات عامّة من كلامها "وكان ذلك صار شيئاً من عادة نطقية"⁽¹¹⁷⁾، والمصادر العربية روت لنا نماذج كثيرة من ذلك قولهم: "قَامَ فِي قَامُوا"⁽¹¹⁸⁾، وقولهم: "احمرّ في احمار"،⁽¹¹⁹⁾ وكذلك قولهم: "لا أدري في لا أدري التي هي لغة هذيل"⁽¹²⁰⁾ وقد ردّ سيبويه (ت 180 هـ) والجوهري (393 هـ) علّة ذلك لكثرة الاستعمال، كما قالوا: (لم يكُ) في لم يكن" أمّا الأزهري (ت 370 هـ) فرأى "أنّ العرب ربّما حذفوا الياء من قولهم: (لا أدري) في موضع "لا أدري" اكتفاءً بالكسرة منها، كقوله تعالى: (والليل إذا يسر)⁽¹²¹⁾

والأصل "يسري"⁽¹²²⁾ وقوله تعالى: (ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ) (الكبير المتعال)⁽¹²³⁾ بحذف ياء المدّ في (ويبغي) (والمتعالي) كذلك في قوله تعالى: (يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ)⁽¹²⁴⁾ في (يا عبادي) وقوله: (يَا أَبَتِ) في (يا أبتي). كما حذفوا واو المدّ في الفعل (يمحو) و(سندعو) في قوله جلّ وعلا: (يَمْحُوا الْبَاطِلَ)⁽¹²⁶⁾ وقوله تعالى: (سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ)⁽¹²⁷⁾. وفي قوله تعالى: (يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ)⁽¹²⁸⁾ حذفوا الواو في (يدعو) والياء في (الداعي).

كما أنّ هذه الظاهرة عرفت في الشعر أكثر، فشاعت بين الشعراء وعدّوها من الضرورة، من ذلك قول أحدهم:⁽¹²⁹⁾

فَلَوْ أَنَّ الْأَطْبَاءَ كَانَ حَوْلِي وَكَانَ مَعَ الْأَطْبَاءِ الْإِسَاءُ *

أراد قول: كانوا حولي.

ونحو ذلك قول الشاعر⁽¹³⁰⁾

كَفَّاكَ كَفُّ مَا تَلِيْقُ دَرْهَمًا جُودًا وَأُخْرَى تُعْطَى بِالسَّيْفِ الدَّمَا

وكتول آخر⁽¹³¹⁾

إِنَّ الْفَقِيرَ بَيْنَنَا قَاضٍ حَكْمٌ أَنْ تَرِدَ الْمَاءَ إِذَا غَابَ النُّجْمُ

في البيت الأول: يريد تعطي.

في البيت الثاني: يريد النجوم.

حاول الدارسون المحدثون تعليل هذا الانتقال من درجة الطول إلى درجة القصر، ومن درجة القصر إلى درجة الطول، فأروا أن هذا التحول قد يكون "نتيجة لأسباب صوتية بحتة كالنبر في الكلام، أو لعادة نطقية معينة كسرعة الأداء".⁽¹³²⁾ والنبر هو ضغط المتكلم على مقطع معين من مقاطع الكلمة، بحيث يميّز عن غيره من المقاطع ويزداد وضوحه في السمع⁽¹³³⁾ فهو إذن، "وضوح نسبي لصوت أو مقطع، بحيث إذا قورن ببقية الأصوات والمقاطع في الكلام كان أكثرها بروزاً"⁽¹³⁴⁾، وقد عرفته العربية وعبرت عنه بمسمياتها المختلفة، الهمز، العلو، الرفع، مطل حركات، الارتكاز، الاشباع، المد، التوتّر، التضعيف وكلها تفضي إلى مستوى دلالي واحد، يقوم بوظائف متباينة تبعاً لسياق وبروز القيم الاستدلالية في النص اللغوي⁽¹³⁵⁾؛ أي أن السياق هو الذي يحدّد نوع النبر الذي قد يؤدي ببعض المصوتات في المقاطع غير منبورة إلى الاختفاء، فإذا كان النبر توترياً مثلاً، فإن "درجته تقتضي ضغط المتكلم على مقطع معين من مقاطع الكلمة، بحيث يتمييز عن غيره من المقاطع ويزداد وضوحه في السمع"⁽¹³⁶⁾، ممّا يؤدي إلى حذف المصوت من المقطع المنبور أو إلى قصره، لأنّ هذا النوع من النبر (النبر التوتري) يستدعي توتراً في أعضاء النطق، بحيث لا يسمح بخروج الهواء، فلمّا كانت أصوات المدّ تعتمد حريّة خروج الهواء حريّة تامّة، تعدّر نطقها في هذه الحالة، فسقطت⁽¹³⁷⁾، فالذي يحدث في عملية تقصير المصوت الطويل هو التوكيد النبري، "بحيث يتّضح أن الرغبة عند المتكلم توجّه النبر من الصوائت الطويلة، أولاً بتقصيرها ومن ثمّ الضغط على الفونيم الذي يحمل درجة بروز أكثر وسط المقاطع"⁽¹³⁸⁾، وهذا ما أشار إليه هنري فيش "أنّ هذا الحرف قد يكون بسبب من أنّ هؤلاء إنّما كانوا ينبرون في هذا الموضع"⁽¹³⁹⁾، وظاهرة التخفيف، أو حذف المصوت ظاهرة معزوة إلى تميم وكثير من أهل نجد.⁽¹⁴⁰⁾

ويشير أحد الدارسين إلى أنّ العربية الفصحى من طبيعتها، أنّها تقصّر الحركة الطويلة في المقطع المفتوح، إذا كان يسبق مقطعاً آخر منبوراً ذا حركة طويلة، فأصل مصدر "فعال" في العربية القديمة هو "فيعال" بنبر المقطع الثاني، وقد ترتّب على خلو المقطع الأوّل من النبر، أن قصّرت حركته، صار المصدر "فعال" مثل "قاتل قِتالاً" بدلاً من "قتل قيتالاً"⁽¹⁴¹⁾، ولعلّ هذا ينطبق على تلك النماذج التي وجدناها في اللهجة الجزائرية.

وهناك من يعلّل قصر المصوتات الطويلة إلى سرعة الأداء في الكلام "فبعض اللهجات تميل إلى الإسراع في الكلام أكثر من غيرها، فيؤدي إلى سقوط بعض أصوات المدّ من كلامها"⁽¹⁴²⁾، كما يرون أنّ هذه الظاهرة هي من ميزات البدو خاصّة، فالقبائل البدوية قديماً كتميم وغيرها مالت إلى السرعة في الكلام وتلمس أيسر السبل، فكانت تحذف أو تسقط ما يمكن الاستغناء عنه من المصوتات طلباً للتخفيف، فحذا الناطقون باللهجة الجزائرية حذوهم في ذلك.

أمّا عن الانتقال أو التحول من درجة القصر إلى درجة الطول الذي شاع في هذه اللهجة وظهر في العربية الفصحى، حيث كثر استعماله هو الآخر في الشعر ليستقيم الوزن، هذا النوع من القلب سمّاه المحدثون بـ"الإشباع" وكان القدامى قد أطلقوا عليه مصطلح "مطل الحركات"⁽¹⁴³⁾، ممّا يدلّ أنّ ذلك قد وجد في العربية القديمة، فهو يقول:

الحركات عند التذكّر يملطن، وذلك كقولهم عند التذكّر مع الفتحة في قُمْتَ: قُمْتًا، ومع الكسرة: أُنْتِي أي أنتِ، ومع الضمة: قُمْتُوفي قُمْتُ. (144)

فالمطل عند ابن جني كما يبدو في قوله: «هو زيادة قوّة الارتكاز، بالإشباع أو التضعيف إذا ما علمنا أن الألف ضَعْفُ الفتحة، والياء ضَعْفُ الكسرة، والواو ضَعْفُ الضمة، والقصد من هذا الإشباع زيادة الضغط على مقطع من المقاطع لإبرازه في السمع، لتحقيق غرض قصدي». (145) وهذا ما لاحظته في موضع آخر أورده ابن جني، فهو يقول: «التطويح والتطريح، والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله طويل أو نحو ذلك، وأنت تحسّ هذا من نفسك إذا تأملتّه، وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فتقول: كان والله رجلاً! فتزيد في قوّة اللفظ، وتتمكّن في تمطيط اللام وإطالة الصوت» (146). ممّا يؤكد أن وظيفة النبر تتوقّف على الدلالة التمييزية للمعنى بالدرجة الأولى، وهنا يمكن أن نعدّه سمة صوتية وظيفية لها قيمة دلالية في التوجيه، إذا استطاع أن يحقق الغرض القصدي، فهو يعتبر من الملامح التمييزية التي يعتمد عليها السياق، وهذا لا يتحقّق إلاّ في مواضع معيّنة (147)، ولا يمكننا أن نحدّد الأماكن التي يقع فيها النبر سواء كان من نوع القصر أو المدّ، «فكلمات اللغة العربية لا تملك درجة واحدة ذات مستوى نبري واحد، وإنّما تتفاوت مقاطع الوحدة الدلالية في القدرة على البروز والعلو» (148) تتحدّد بالسياق، والأمر نفسه ينطبق على لهجة الجزائريين، فالأغراض والمقاصد الكلامية والتوجيهات الإنسانية هي التي تتحكّم بالنبر ونوعه، هذا ما يقرّره المحدّثون من أنّه «يصعب علينا أن نحدّد أسباب ميل اللفّة أو اللهجة إلى النبر على مقطع بعينه من مقاطع الكلمة، لأنّ الحركات التي تنتج النبر قد تكون بأسباب سيكولوجية» (149) كـبعض الحالات النفسية التي يحاول المتكلّم فيها أن يزيد في تأكيد المراد من كلامه، أو التقليل من أهميّة بعض الأمور، أو القلق أو الخجل وما إلى ذلك. (150) والمعروف أنّ العربي شديد الحرص على بيان مقاصده الكلامية وأغراضه النطقية، وهذا لا يتحقّق إلاّ باستخدام هذا الملمح التمييزي، فالنبر يعرف من فعل المتكلّم لا من فعل السّامع. (151)

6- قلب صوت المدّ المركّب صوتاً بسيطاً (انكماش الأصوات المركّبة)؛ وهو قلب صوت المدّ المركّب الذي يتألّف من صوت مدّ ونصف مدّ ساكن على التوالي، إلى صوت مدّ بسيط بشكل مطلق، حيث يُقلب كسرة طويلة، إذا كان الصوتان المتتابعان الأوّل منهما فتحة والثاني ياء، في حين يُقلب ضمة طويلة، إذا كان الأوّل منهما فتحة والثاني واوا. ومن مظاهر هذا القلب في لهجة الجزائر نذكر ما يلي:

– قلب الصوت المركّب كسرة طويلة؛ ويظهر في قولهم:

(زَيْتٌ) في زَيْتٍ - (بَيْتٌ) في بَيْتٍ - (لَيْلٌ) في لَيْلٍ - (شَيْنٌ) في شَيْنٍ (خلاف الرَيْنِ ، يقال : شَانَهُ يشِينُهُ ، والمَشَايِنُ المَعَايِبُ والمَقَابِحُ) - (زَيْنٌ) في زَيْنٍ (خلاف الشَّيْنِ) - (غَيْرَهُ) في غَيْرَةٍ - (جَيْبٌ) في جَيْبٍ - (كَيْحٌ) في كَيْحٍ .
(بتفخيم القاف ، نقول فَيْحُ الجرح ونَقَيْحٌ ؛ والقَيْحُ : المِدَّةُ الخالصة لا يخالطها دم) - (دَيْنٌ) في دَيْنٍ .

- قلب المصوت المركب ضمة طويلة : كما في قولهم :

(لُونٌ) في لُونٍ - (ثَوْمٌ) في ثَوْمٍ - (يَوْمٌ) في يَوْمٍ - (شَوْكٌ) في شَوْكٍ - (زَوْجٌ) في زَوْجٍ - (فُوقٌ) في فُوقٍ -
(لُوزٌ) في لُوزٍ - (صَوْمَعَةٌ) في صَوْمَعَةٍ - (لُوحٌ) في لُوحٍ ...

إن مثل هذا القلب في الأصوات المركبة حدث في عصور العربية الأولى ، وفي عصور الفصحى أيضاً ، فقد ذكر ابن السكيت (ت 244 هـ) في كتابه إصلاح المنطق العديد من نماذج هذا القلب من ذلك قوله : " وتقول : الكَوْسَجُ* ، ولا تنقل : الكَوْسَجُ ، وهو الجُورِبُ* ولا تنقل : الجُورِبُ ."⁽¹⁵²⁾

بل حدث في عصور الفصحى أيضاً ، من ذلك ما روي عن الأصمعي (ت 216 هـ) : يقال : هو الضَّوءُ والضُّوءُ ."⁽¹⁵³⁾ وأيضاً : " إن بني فلان لفي دُوكةٍ ودَوكةٍ ، يعنون خصومةً وشرّاً "⁽¹⁵⁴⁾ وكذلك : " وحبّبة الرجل أمّه ، وقال بعضهم : حُوبَةٌ* ."⁽¹⁵⁵⁾

وقد تابع الدارسون القدامى العرب من بعده التنبية على هذا القلب مثل ما في كلمتي : " الغيرة " في الغيرة و" القيح " في القيح عند الزبيدي (ت 379 هـ) . وكلمة " سوسن " في سوسن عند الحريري (ت 516) . و" لوح " في لوح و" جيب " في جيب عند ابن هشام اللخمي (ت 577 هـ) . و" فوق " في فوق ، و" جوف " في جوف عند ابن الإمام (ت 827 هـ) . و" العيش " في العيش عند ابن كمال باشا (940 هـ) ."⁽¹⁵⁶⁾

وقد قلب صوت المدّ المركب فتحة طويلة مطلقاً مهما كان نوع نصف المدّ ؛ أي أنّ القلب لم يتمّ حسب جنس هذا الأخير ، ونجد هذا القلب في قول بعض العرب : " إن الرجز لعاب ، أي لعب ، والرجز ارتعاد مؤخر البعير "⁽¹⁵⁷⁾ وقولهم : " ما كنت أزعم في خصمي العاب يريد : العيب . . . ويقال : بوع وباع ، وصوع وصاع . " كما جاء في قولهم : " تبتُ إليك فتقبل تآبتي ، وصمتُ إليك فتقبل صامتِي ، أي توبتِي وصومتِي ."⁽¹⁵⁸⁾ ومثل ذلك : " القال بدلاً من " القول " في عبارة : " القيل والقال ."⁽¹⁵⁹⁾

كما روي في المصادر اللغوية : " ياءسُ و" يابسُ " في " ييبسُ " و" ييبسُ "⁽¹⁶⁰⁾ وأنّ أهل الحجاز كانوا يقولون : ياجلُ في يوجلُ ⁽¹⁶¹⁾ وأنّ بنو الحارث بن كعب - قبيلة يمنية - كانت تلزم المثني وما جرى مجراه ، الألف في كلّ حال ،"⁽¹⁶²⁾ فقد قال أبو زيد الأنصاري في تفسير قول الراجز :

طاروا علاهن فُشَلُ علاها

وأشدُّ بمثنى حقب* حقواها*

ناجية وناجيا أباهما.

فشل علاها: أراد عيها، ولغة بلحرت بن كعب قلب الياء الساكنة، إذا انفتح ما قبلها ألفاً، يقولون: أخذت الدرهمان، واشترت ثوبان، والسلام عليكم، وهذه الأبيات على لغتهم.⁽¹⁶³⁾ ومثله (علاهن وحقواها) فلزوم الألف لغة حارثية. وقرأ نافع (169هـ) وابن عامر (118هـ) والكوفيون، قوله تعالى: (إِنْ هَآذَانِ لَسَاحِرَانِ)⁽¹⁶⁴⁾ ووافق في ذلك الحارثيين بنو الهجيم وبنو العنبر⁽¹⁶⁵⁾، ومنه قول الشاعر هُوَيْرِ الحارثي:

تَرُودُ مِنَّا بَيْنَ أَذْنَاهِ ضَرْبَةً دَعْتُهُ إِلَى هَابِي التُّرَابِ عَقِيمٍ⁽¹⁶⁶⁾

يريد: (بين أذنيه).

إن هذا التتابع بين صوت المد ونصف المد، هو ما اصطاح عليه المحدثون صوت المد المركب الهابط⁽¹⁶⁷⁾، وانقلاب هذا الصوت المركب إلى مصوت طويل، يكون بحسب نصف المد الذي يكون تالياً للمصوت، وقد سمى الدارسون المحدثون عملية القلب هذه بـ"انكماش الأصوات المركبة"⁽¹⁶⁸⁾، وعدوها مظهراً من مظاهر السهولة والتيسير في اللغة. "فتحوّل الصوت المركب (aw - و) إلى ضمة طويلة ممالئة (ò - و) في مثل نطقنا لكلمة (يُوم، نُوم وُوم) بدلاً من "يُوم، نُوم، صُوم"، وكذلك تحوّل الصوت المركب (ay - ي) إلى كسرة طويلة (é - ي) في مثل نطقنا لكلمة (بيت، ليّل وعين) بدلاً من "بيت، ليّل وعين"، كل ذلك سببه إثارة اللغة الانتقال من العسير إلى اليسير من الأصوات،⁽¹⁶⁹⁾ ذلك أن اللسان في أثناء نطق الصوت المركب الهابط ينتقل مباشرة من موقع صوت مدّ، إلى موقع نطق صوت مدّ آخر.⁽¹⁷⁰⁾

وهذا يعني أن على أعضاء النطق أن تتوقّف زمنياً لينطلق كل من صوتي المدّ على حده، يكون على المتكلم في أثناء ذلك أن يقطع مجرى نفسه ثم يستأنفه مرة أخرى.⁽¹⁷⁰⁾ ويضيف ماريو باي مفسراً هذا القلب بقوله: "لا يمكن قطع مجرى النفس ثم استئنافه مرة أخرى قطعاً، فكان على جهاز النطق أن يتحايل على ذلك بأن يفصل بين الصوتين باحتكاك بسيط، يكون بمثابة فاصل يستريح فيه اللسان برهة لكي يستطيع اتخاذ الوضع الآخر، ومن أجل ذلك يتحوّل أحد صوتي المدّ - يكون الثاني في الغالب - إلى نصف مدّ ممّا يسهّل اجتماعهما."⁽¹⁷²⁾ ولقد فطن اللغويون العرب القدامى إلى هذا التتابع الذي اصطاح عليه "صوت المدّ المركب"، والمدهش أنهم فطنوا في وقت مبكر إلى أن الواو والياء إذا انفتح ما قبلهما وكانتا ساكنتين، لم تخرجا من المدّ كل الخروج⁽¹⁷³⁾، كما فطنوا بعض الشيء إلى ثمة تداخلاً بين صوت الفتحة القصيرة وصوت الواو أو الياء، هذا ما يبدو في قول ابن جني عندما حاول تفسير هذا التتابع: "الفتحة وإن كانت مخالفة الجنس للياء أو الواو فإن فيها سرّاً له، ومن أجله جاز أن تمتد الياء والواو وبعدها في نحو ما رأينا، وذلك أن أصل المدّ وأقواه وأعلاه وأنعمه وأنداه، إنّما هو للألف، وإنّما الياء والواو محمولان عليها وملحقان في الحكم بها، والفتحة بعض الألف، فكانت إذا قدمت قبلها في نحو "بيت وسوط" إنّما قدمت الألف، إذا كانت الفتحة بعضها، فإذا جاءت بعد الفتحة،

جاءنا في موضع قد سبقتهما إليه الفتحة التي هي ألف صغيرة، فكان ذلك سبباً للأنس بالمدّ، لاسيما وهما بعد الفتحة لسكونهما أختا الألف، وقربيتا الشبه بها فصار ثوب وشيخ نحو من "شأخ وثأب" فلذلك ساغ وقوع المدّ بعدهما.⁽¹⁷⁴⁾

كما نجد من القدامى أيضاً الاسترادي (688 هـ)، هو الآخر قد فطن إلى الصوت المركّب ولاحظ اختلاط صوتي التتابع، وأنّ حال الواو والياء الساكنتين بعد فتح، يكونان فيها أقصر من صوت المدّ المحض، أي أنّ هذا المدّ يقلّ في حروف اللين إذا كانت حركة ما قبلها من غير جنسها، نحو: "قَوْلٌ وَيَبِعُ"، وذلك لأنّ في نحو "قَوْلٌ" المضموم قافه، تنتهيّاً بعد النطق بالقاف للواو وذلك لأنّ الضمّة بعض الواو، فيسهل عليك المجيء بعد الضمّة بالواو كاملة، لأنّه لم يخالطها إذن نوع آخر من المدّ كما خالطها في نحو "قَوْلٌ" المفتوح قافه، فإنّك إذا تهيأت فيه بعد القاف للمدّ الألفي أي الفتحة، ثم انتقلت في الحال إلى المدّ الواوي شائباً شيئاً من المدّ الأول بالمدّ الثاني، وميل كلّ واحد من المديّن إلى جانب غير جانب الآخر فلا جرم لم تتمكّن من إشباع المدّ الواوي تمام التمكن.⁽¹⁷⁵⁾ فهذا الرأي تؤيّدّه الدراسات الصوتية الحديثة فهي تقرّ أنّ تتابع الفتحة ونصف المدّ الساكن، يؤدّي إلى اختلاط الصوتين بسبب من الانتقال المباشر من وضع جهاز النطق في أثناء أداء الفتحة، إلى وضعه في أثناء أداء نصف المدّ من غير أن يفصل بينهما صامت.⁽¹⁷⁶⁾ كما أنّ الانتقال المباشر من صوت إلى آخر، يمثّل حالة صعبة بالنسبة إلى المتكلّم، لأنّه يتطلّب منه أن يغيّر وضع أعضاء النطق من موضع إلى آخر.

إذن، نحن أمام صور كثيرة من قلب المصوتات في اللهجة الجزائرية وأبرزها الثلاث صور: فتح وكسر، وفتح وضمّ، وكسر وضمّ، ونظائرهم الطوال. ويمكن أن نردّ عموماً كثرة تقلّبها وعدم استقرارها إلى تلك القرابة بين الأصوات الثلاثة من الناحية الصوتية، من تقارب عدد الذبذبات بين هذه الأصوات الثلاثة تقارباً شديداً، ممّا قد يجعل وقعها على أذن السامع واحداً في بعض الظروف، "هذا إلى جانب عدم استقرارها وقدرتها العالية على التغيّر".⁽¹⁷⁷⁾

وقد عدّ الضمّ صفة من صفات الخشونة التي يحرص عليها البدوي، لهذا كنّا نتوقع بعد أن تأكّدت لنا بداوة الجزائريين من خلال عرضنا واستقصائنا للتغيرات الطارئة على الصوائت في لغتهم، أن يشيع الضمّ بها، مثلما شاعت الأصوات المفخّمة والشديدة، لكن ما حدث ووجدناه، كان عكس ما توقعناه، والذي حدث أنّ الجزائريين ينطقون على سجيّتهم، فنطقوا بالكسرة حيث كنّا نتوقّع منهم الضمّ، ونطقوا بالفتح، حيث كنّا نتوقّع منهم الكسر أو الضمّ. فشاع الفتح لأنّه الأخفّ، وتلاه الكسر الذي هو أخفّ من الضمّ، والحقيقة أنّ الأمر يبدو منطقيّاً لأنّ البيئة البدوية تميل إلى الاقتصاد في المجهود العضلي، وتنتهج أيسر السبل في بذل أقلّ جهد ممكن أثناء النطق، فليس بالغريب إذن أن يشيع الفتح. وفي مثل هذه الحال، لا يمكننا أن نحكّم عامل البيئة في تحديد عوامل اختيار الأصوات، لأنّ ناموس الاقتصاد في الجهد، وقانون السهولة اللذين يعدّان مبدأين ثابتين في اللغة ينشدهما كلّ متكلّم، قد بسطاً نفوذهما على السنة الجزائريين.

1. جان كانتينو: ص 149.
2. يرى عبده الراجحي أن القراءات القرآنية هي أصل المصادر جميعا في معرفة اللهجات العربية؛ لأنّ منهج علم القراءات في طريقة نقلها يختلف عن كل الطرق التي نقلت بها المصادر الأخرى كالشعر والنثر، فالقراءة لا تكتفي في النقل بالسمع، بل لا بدّ من شرط التلقي والعرض، وهما أصحّ الطرق في النقل اللغوي وقد رأينا ما كان من رسول الله عليه الصلاة والسلام من تلقيه الوحي ثم عرضه على جبريل، وما كان من إقرانه الصحابة عليه. ينظر عبده الراجحي: اللهجات العربية في القراءات القرآنية م.س، ص 101.
3. السيوطي: المزهري م.س، ج 2 ص 276 - 277. وينظر: أبو حيان: البحر المحيط م.س، ج 5 ص 24، ابن سيده م.س، ج 14 ص 34، وفاضل غالب المطليبي: في الأصوات اللغوية - دراسة في أصوات المد العربية - الجمهورية العراقية وزارة الثقافة والإعلام دائرة الشؤون الثقافية والنشر، دار الحرية، بغداد / 1984 م، ص 158.
4. م.س.ص
5. م.س.ص
6. نحو قوله تعالى: (كلوا من ثمره إذا أثمر وءاتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) سورة الانعام: الآية 141.
7. نحو قوله تعالى: (والشفع والوتر) سورة الفجر: الآية 3.
8. في قوله تعالى: (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) آل عمران/ 97.
9. عبده الراجحي: اللهجات العربية في القراءات القرآنية م.س: ص 141.
10. م.س.ص
11. في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة) سورة التوبة: ص 123.
12. عبده الراجحي: م.س.ص
13. نحو قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين) سورة البقرة: الآية 208 وقوله: (وان جنحو لسلّم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم) سورة الأنفال: الآية 184.
14. عبده الراجحي م.س: ص 140.
15. في قوله تعالى: (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم) سورة محمد: الآية 22.
16. عبده الراجحي: م.س.ص
17. فضل غالب: دراسة في أصوات المد العربية م.س، ص 216. وينظر محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة: ص 92.
18. سيبويه: الكتاب م.س، ج 2 ص 357. وينظر وينظر محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة: ص 92.
19. رمضان عبد التواب: نحن العامة والتطور اللغوي، مكتبة زهراء الشرق، ط 1، 1905 م. ص 198 - 191 و 237 - 238.
20. ابن الجزري: النشر م.س، ج 1 ص 215.
21. كمال بشر: علم اللغة م.س، ص 148.
22. المحدثون صححو الرأي الذي قال أن المد الطويل يختلف عن القصير في الكمية فقط وإنما في الكيفية أيضا إذ أن موقع اللسان مع أحد هذين الصوتين مختلف قليلا عن موضع الصوت الآخر يصحبه اختلاف طفيف في درجة انفتاح الشفتين. (ينظر أحمد مختار عمر م.س: ص 182 كمال بشر م.س: ص 120).
23. غرْبِلُ الشَّيْءِ: نخله، الغَرْبَالُ: ما ينخل به. ينظر اللسان مادة (غربل)
24. ينظر: الزركشي: البحر المحيط م.س، ج 5 ص 357 - المزهري: 2/ 277 -
25. اللهجات العربية في القراءات القرآنية: 146.
26. هامش تفسير الجلالين، الطبعة الثانية، 1954 م، ج 1 ص 137.
27. نحو قوله تعالى: (أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله وماواه جهنم وبئس المصير) سورة آل عمران: الآية 162. وقوله: (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) سورة آل عمران: الآية 174.
28. نحو قوله تعالى: (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه) سورة الممتحنة: الآية 4.

29. عبده الراجحي م. س : ص 146 - 147 .
30. نحو قوله تعالى : (قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا و خفية لنن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين) سورة الأنعام : الآية 63 .
31. عبده الراجحي م. س : ص 146 .
32. نحو قوله تعالى : (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين) سورة الأعراف : الآية 148 .
- * الصنو والصنو : ج أصناء و صنوان : إذا خرجت نخلتان أو أكثر من أصل واحد . فيقال : النخل أنبت الصنوان فكل واحدة منهما هي صنو و الاثنان صنوان و صنيان يقال : ركيبتان صنوان أي متجاورتان أو تنبعان من عين واحدة . و منه صنوان و صنوان الأخ الشقيق (ينظر ابن منظور : مادة صنا) .
- * القثاء والقثاء : الواحدة قثاءة . نوع من النبات ثمره يشبه ثمر الخيبار (ينظر ابن منظور : مادة قثأ) .
33. عبده الراجحي م. س : ص 146 .
34. رمضان عبد النواب : مدخل إلى علم اللغة م. س ، ص 92 .
35. ابن جني : سر الصناعة م. س ، ج 1 ص 60 - 61 .
36. براجستراسر : التطور النحوي للغة العربية م. س ، ص 34 - 36 .
37. فاضل المطليبي : دراسة في أصوات المد العربية م. س ، ص 161 .
38. العروس : نعت يستوي فيه الرجل والمرأة . وفي الصحاح : ماداما في إعراسهما . يقال : رجل عروس في رجال أعراس ، وامرأة عروس في نسوة عرائس . وفي المثل : كاد العروس يكون أميراً . وفي الحديث : فأصبح عروساً . يقال للرجل عروس كما يقال للمرأة ، وهو اسم لهما عند دخول أحدهما بالآخر . ينظر ابن منظور : مادة (عرس) .
39. ابن منظور : مادة (قرنفل) .
40. السَّمَّ والسَّمَّ والسَّمَّ : القاتل وجمعها سمام . اللسان مادة (سم) .
41. ابن منظور : مادة (فمم) .
42. السيوطي : المزهر م. س ، ج 2 ص 277 . التهذيب : ج 2 ص 158 . فاضل المطليبي : دراسة في أصوات المد العربية م. س : ص 160 .
43. ابن سيده م. س : ج 15 ص 76 .
- * العَشْوَة و العَشْوَة : الشعلة من النار ترى ليلا من بعيد فتَقْصِدُ و أصله من عَشَاء الليل . العَشْوَة و العَشْوَة الظلمة ، أول ربع من الليل ، يقال : رأيتُه في عَشْوَة العتمة و في عَشْوَة السحر أي في ظلمة العتمة و في ظلمة السحر .
- * العَدْوَة و العَدْوَة : ج عداء و عداوات : المكان المرتفع . شاطئ الوادي و جانبه . المكان المتباعد .
44. نحو قوله تعالى : (الذين استجابوا لله و الرسول من بعدما أصابهم القرع للذين أحسنوا منهم و ألقوا أجر عظيم) سورة آل عمران : الآية 172 .
45. عبده الراجحي : اللهجات العربية في القراءات القرآنية م. س ، ص 134 .
46. نحو قوله تعالى : (ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها و وضعته كرها) سورة الأحقاف : الآية 15 .
47. عبده الراجحي : م. س . ص
48. نحو قوله تعالى : (أسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء و اضمم إليك جناحك من الرهب فذالك برهانان من ربك إلى فرعون و ملأه إنهم كانوا قوما فاسقين) سورة القصص : الآية 32 .
49. عبده الراجحي : م. س . ص
50. نحو قوله تعالى : (الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة) سورة الروم : الآية 54 .
51. ابن الجزري : النشر م. س ، ج 2 ص 245 .
52. نحو قوله تعالى : (وجعلنا من بين أيديهم سداً و من خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون) سورة يس : الآية 9 . وقوله تعالى : (قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج و مأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا و بينهم سداً .) سورة الكهف : الآية 94 .
53. عبده الراجحي م. س ، ص 144 .
54. نحو قوله تعالى : (إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني و من لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده) سورة البقرة : الآية 249 .

55. م. س. ص
56. السيوطي: المزهري م. س. ج 2 ص 275.
57. البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي القاهرة: د ط، 1329 هـ، ج 5 ص 269، وج 9 ص 108.
58. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، عالم الكتب، 1423 – 2003، ج 8 ص 39.
59. م. س. ج 6 ص 438. وينظر المرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، طبعة الكويت، ج 7 ص 411.
60. السيوطي: المزهري م. س. ج 2 ص 276. وينظر: الزبيدي التاج: ج 1 ص 465.
61. البحر المحيط: ج 8 ص 194.
62. نكل: نكص وجن. ينظر ابن سيدة: المخصص م. س. ج 3 ص 64.
63. الزبيدي: التاج م. س. ج 5 ص 335.
64. نحو قوله تعالى: (للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم) سورة البقرة: الآية 273.
65. نحو قوله تعالى: (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار) سورة إبراهيم: الآية 260.
66. أبو علي الفارسي: الحجة في علل القراءات السبع، تحقيق: علي النجدي ناصف - الدكتور عبد الحلیم النجار - الدكتور عبد الفتاح شليبي. مراجعة محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1385 هـ، ج 3 ص 43 وينظر البحر: ج 2 ص 328.
67. في قوله عز وجل: (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) سورة الأحزاب: الآية 33.
68. أبو علي الفارسي: الحجة م. س. ج 6 ص 154.
69. نحو قوله تعالى: (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون) سورة هود: الآية 113.
70. البحر: ج 5 ص 269.
71. نحو قوله تعالى: (لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض) سورة سبأ: الآية 3، وكذلك سورة يونس: الآية 61.
72. الحجة: ج 6 ص 162.
73. نحو قوله تعالى: (فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان) سورة الرحمن: الآية 56. وقوله تعالى: (لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان) سورة الرحمن: الآية 74.
74. الحجة: ج 7 ص 224.
75. في قوله تعالى: (وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم) سورة الأعراف: الآية 138.
76. النشر في القراءات العشر: أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، أشرف على تصحيحه ومراجعته: علي محمد الصباغ، د ط، ج 2 ص 271.
77. في قوله تعالى: (وإذا قيل لهم انشروا فانشروا) سورة المجادلة: الآية 11.
78. الحجة: ج 7 ص 250. وينظر النشر: ج 2 ص 385.
79. في قوله تعالى: (خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم) سورة الدخان: الآية 47.
80. الحجة: ج 7 ص 137.
81. البحر: ج 5 ص 448.
82. في قوله تعالى: (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون) سورة الحجر: الآية 14.
83. غالب فاضل المطلب م. س. ص 252.
84. ابن جني: الخصائص م. س. ج 2 ص 155.
85. ابن جني: سر الصناعة م. س. ج 1 ص 235.
86. م. س. ص
87. البحر المحيط: ج 1 ص 24 وج 7 ص 343 وج 1 ص 23.
88. م. س. ص

89. عبد الغفار حامد هلال : ص 74.
90. م.س.ص
91. ابن جني: الخصائص م.س، ج 3 ص 121.
92. البيت أورده في الحماسة البصرية في قطعة في مدح عبد الواحد وهو أحد القريشيين كان قاضيا الجعفر بن سليمان، ومطلعها:
أعبد الواحد محمود إنني * أغص حذار سخطك بالقراح.
93. ابن جني: الخصائص م.س، ج 3 ص 121. وج 2 ص 316.
94. النزوح: البعد.
95. ابن جني: الخصائص م.س، ج 3 ص 121 وج 2 ص 316.
96. ينباع: أي العرق. والذفرى: العظم الشاخص خلف الأذن إلى آخر الأوصاف من وصف ناقته. يذكر أن عرق ناقته يسيل من جهدها في السير (البيت في العلقه)
97. م.س: ج 3 ص 122. الهذلي هو أبو ذؤيب في مرثيته العينية المشهورة (القصيدة في آخر المفضليات).
98. تعنته الكماة: دنوه منهم في الحرب والتزامه لهم، كما يتعاقق الرجلان. وروغته أن يجيد عن ضرباتهم. والسلفع الجسور السليط، يذكر شجاعا يدل بقوته وعلمه بفن الحرب، فهو يعتنق قرنه حيناً ويروغ من ضربه حيناً آخر وبينما هو في المععة ومنازلة أقرانه جاءه من لا يأبه له فصرعه وذلك جزءاً سليطاً ما كان ليحسب له حساب.
99. ابن جني م.س: ج 3 ص 123.
- *الصياريف: إنما هي الصيارف جمع صيرف، والصيرفي: ببيع النقود بنقود غيرها. ينظر ابن منظور: مادة (صرف).
- *المطافيل: إنما هي المطافل جمع المَظفل: وهي ذات الطفل من الأنس والوحش. ينظر ابن منظور: مادة (طفل).
- *الجلعيد: إنما هي الجلاعد، بالفتح: جمع جلعده وهو الشديد الصلب أو الغليظ. ينظر ابن منظور: مادة (جلعد).
100. م.س: ج 2 ص 315.
101. هو أبو النجم العجلي (ت 747): شاعر من أكابر الرجاز امتاز بالطرق وحسن الإنشاد، مدح الخلفاء الأمويين لا سيما عبد الملك ولده هشام، والبيت هو النشتر التاسع من أرجوزته الطويلة وقد صدرها بوصف الإبل.
102. النعاج الخذل: بقر الوحش، يريد أن الإبل رعت مع البقر والمظفل، التي معها طفل وهي حديثة عهد بالولادة، يكون في النوق والبقر والنعم، فقولته: منها المطافيل... يحتمل عودة للإبل وعوده للنعاج، وهو الأقرب.
103. هو أبو ذؤيب الهذلي (ت نحو 648): شاعر مخضرم.
104. *العود: جمع العائد، وهي حديثة العهد بالنتاج من النوق، ويريد بجني النحل عسله.
105. م.س: ج 2 ص 316. *يسري: يلقى من سرية الثوب عني، ألقيته، ويروي يشرى يضم الياء، أي يميل أو يحرك
106. م.س: ج 3 ص 123.
107. امرأة مكورة: مستديرة الساقين. ينظر ابن منظور: مادة (مكر). عطبول: من الظباء والنساء، يقال جاربية عطبول: جميلة فتية، ممتلئة وطويلة العنق. وقيل الحسنة التامة. ينظر ابن منظور مادة (عطبل).
108. سورة يوسف: الآية 87.
109. سورة الرعد: الآية 31.
110. سورة النمل: الآية 21.
111. سورة الأعراف: الآية 145.
112. سورة الأنبياء: الآية 37.
113. سورة الأنعام 34.
114. سورة يونس: الآية 15.
115. سورة النحل: الآية 90.
116. الزركشي: البرهان م.س، ج 1 ص 381-382 و386.

117. غالب فاضل المطليبي : دراسة في أصوات المد العربية م.س، 296 .
118. م.س: ص294.
119. سيبويه : الكتاب م.س، ج2 ص392.
120. ابن منظور: مادة (دري).
121. سورة الفجر: الآية 4.
122. سورة الكهف: الآية 64.
123. سورة الرعد: الآية 5.
124. سورة الزمر: الآية 16.
125. سورة يوسف: الآية 4 و100.
126. سورة الشورى: الآية 24.
127. سورة العلق: الآية 18.
128. سورة القمر: سورة 6.
129. ابن يعيش: شرح المفصل م.س، ج4 ص9.
- الأسا: ممفتوح مقصور: المداواة والعلاج، وأسا الجرح أسوأ وأسأ: داواه، والأسوأ والإساء، جميعا: الدواء، والجمع: آسية.
- والإساء: ممدود مكسور: الدواء بعينه، وإن شئت كان جميعا للآسي: وهو المعالج. ينظر اللسان مادة (أسا)
130. حسام سعيد النعيمي: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت، 1980م، ص 234.
131. ابن جني: الخصائص م.س، ج3 ص133 .
132. غالب فاضل المطليبي : م.س، ص296.
133. عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية م.س، ص97. وجان كاتنينو: ص194.
134. تمام حسان : مناهج البحث في اللغة م.س، ص160 و110.
135. م.س.ص
136. عبد القادر عبد الجليل: الأصوات اللغوية م.س، ص97. جان كاتنينو: دروس في علم أصوات العربية م.س، ص 194.
137. غالب فاضل المطليبي: لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، دار الحرية للطباعة، العراق / بغداد، 1398هـ / 1978م، ص 217 - 218.
138. عبد القادر عبد الجليل: التنوعات الصوتية م.س، ص119
139. غالب فاضل المطليبي: دراسة في أصوات المد العربية، ص173.
140. غالب المطليبي: ينظر لهجة تميم وأثرها في العربية م.س، ص 148.
141. رمضان عبد التواب: التطور اللغوي علله وقوانينه ومظاهره، ص128.
142. عبد القادر عبد الجليل: التنوعات الصوتية م.س، ص119.
143. ابن جني: الخصائص م.س، ج3 ص129 .
144. م.س.ص
145. عبد القادر عبد الجليل: التنوعات الصوتية م.س، ص 111 و113.
146. ابن جني: الخصائص: 370/2 - 371 .
147. عبد القادر عبد الجليل: التنوعات الصوتية م.س، ص 111 و113.
148. م.س.ص
149. فندريس: اللغة م.س، ص 87 - 88 وعبد القادر عبد الجليل: التنوعات الصوتية م.س، ص 113 .
150. غالب المطليبي: دراسة في أصوات المد العربية م.س، ص 40 - 45 .
151. عبد القادر عبد الجليل: التنوعات الصوتية م.س، ص 115 .
152. ابن السكيت: إصلاح المنطق، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1949م، ص 162 .

*الكوسج : سمك خرطومة كالمشمار ويطلق على الرجل الذي لحيته على ذقنه الأعلى العارضين

*الجورب : لفاقة الرجل (فارسية)

153. م.س: ص91.

154. م.س: ص13.

155. م.س: ص114.

*دوكة : الخصومة والشر.

*الحوية : الأبوان – الأخت – والبنت. والحبية : القريبة من الأم، يقال لي فيهم حوية أي قرابة من أمي / الحوية : الحاجة.

156. الرزيدي: لحن العوام، تحقيق: د. رمضان عبد التواب، المطبعة الكمالية، ط1، 1964م، ص144 و185. وينظر: الحريري: درة الغواص،

ص78 – اللخمي: المدخل إلى تقويم اللسان، ص62 و66 – ابن إمام: الجمانة في إزالة الرطانة، ص5 – ابن كمال باشا: التشبيه على غلط

الجاهل والنبيه، ص20.

157. أبو زيد الأنصاري: النوادر، ص3 و5.

158. م.س.ص

159. ابن منظور: مادة (قول).

160. المررد: المقتضب م.س، ج1 ص90 و92.

161. المررد: المقتضب م.س، ج1 ص90 و92.

162. الجياني: شرح التسهيل، ج1 ص66.

163. ابن فارس: الصحابي، ص49.

الحقو الحقو والحقاء: كله الإزار. ينظر اللسان مادة (حقا).

الحقب: الحزام الذي يلي الحقو. ينظر اللسان مادة (حقب).

164. سورة طه: الآية 63.

165. الجياني: م.س.ص

166. أبو زيد الأنصاري: النوادر، ص3 و5.

167. قد يكون صوت المد بسيطاً، وقد يكون مركباً، فهو بسيط إذا اقتضى موقعا ثابتاً لا يتغير في أثناء النطق. وهو مركب إذا انتقل اللسان في أثناء

النطق مباشرة من موقع صوت مد إلى موقع نطق صوت مد آخر (ينظر أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي م.س: ص116). كما بين الباحثون أن

هناك نوعين من أصوات المد المركبة نسبة إلى موقع صوت المد المحض فيه هما: صوت مد مركب صاعد: إذا كان صوت المد تالياً لنصف المد نحو: يسر.

وهو صوت مد مركب صاعد: إذا كان صوت المد سابقاً على نصف المد نحو (بيت، حوض) ينظر ماريو باي: أسس علم اللغة م.س، ص81 وإبراهيم

أنيس: الأصوات اللغوية م.س: ص89.

168. رمضان عبد التواب: التطور اللغوي مظاهره وعمله وقوانينه م.س، ص49 – 50 وجان كانتينو: دروس في علم أصوات العربية م.س، ص171.

169. م.س.ص

170. أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي م.س: ص116.

171. ماريو باي: أسس علم اللغة م.س، ص150.

172. ماريو باي: أسس علم اللغة م.س، ص150.

173. ابن جني: المنصف ج1 ص224. وينظر غالب المطليبي: دراسة في أصوات المد العربية م.س، ص88.

174. ابن جني: الخصائص م.س، ج3 ص127 و128.

175. ينظر الاستربادي: شرح الشافية، م.س، ج2 ص211 و212. وينظر المصدر نفسه: ص246 – 248).

176. غالب المطليبي: دراسة في أصوات المد العربية م.س، ص104.

177. م.س: ص161.